مقياس النقد السيميائي

سيميائية أمبرتو إيكو

السنة الثالثة - دراسات نقدية -

"إن القارئ الحقيقي هو الذي يفهم أن سر النص يكمن في عدمه".

"يمكن للنص أن يقول كل شيء سوى ما يريد الكاتب التدليل عليه"

إيكو

Umberto Eco (2016 - 1932)

أمبرتو إيكو - UMBERTO ECO-

- فيلسوف إيطالي ، وروائي وباحث، نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1954 بعد دراسة حول الراهب والفيلسوف اللاهوتي توما الأكويني، بعد ذلك هجر الكنيسة الكاثوليكية بسبب أزمة إيمان، عمل محررا في التلفزيون الفرنسي، وأستاذا بجامعة تورينو، احتك برسامين فرنسيين، وتزوج الرسامة الألمانية ريناتي رامج، من أشهر أعماله الروائية رواية « اسم الوردة» البوليسية التي جسدت في فيلم، ومن كتبه في النقد السيميائي : السيميائية وفلسفة اللغة، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، الأثر المفتوح ...

تمظهرات العلامة عند إيكو

1- استدلالات طبيعية: العلامة إشارة واضحة تمكننا من التوصل إلى استنتاجات بشأن أمر خفي، بهذا المعنى نتحدث عن العلامة ونحن بصدد الحديث عن الأعراض الطبية أو معالم الجريمة أو المؤشرات الجوية. ويتفق مع من يقول أن الشيء لا يكون علامة إلا إذا أوّله أحدهم على أنه علامة على شيء آخر غاب ولم يعد موجودا في ظاهرة ما أو سيوجد فيها، كتفرق السحب علامة على الصحو يوم الغد. والعلاقة بين القضيتين علاقة احتواء ($A \subset B$)، لأن تفرق السحب جزء من الصحو، وشحوب وجه المريض جزء من تدهور صحته ...

2- معادلات اعتباطية: العلاقة هنا غير مبررة، ونجدها عند إيكو في الإشارات والعلامات المرورية، كما تكون في العلامة اللغوية، لأنه يهتم بالعلاقات المنطقية التي يراها هنا علاقة تكافؤ أو تساوٍ ($A= B$) ، فكلمة امرأة FEMME بالفرنسة = كائن + إنسان + أنثى + حي + ... بالتواطؤ والاتفاق الاعتباطي .

3- رسوم بيانية : لو غيرنا في العلاقة الاعتباطية كلمة DONNA مثلا والتي تعني امرأة بالإيطالية، وكتبناها بأي نمط خطي أو بأي لون لما تغيرت دلالتها، لأن الارتباط العرفي يعضد هذه الدلالة ... لكن الرسوم البيانية لا تقبل أي تعديل ولا تشير إلى مدلولاتها إلا بالدقة المحددة لذلك، إذ لا سياقا أو تواطؤا اجتماعيا يحكم إحالتها سوى تمظهرها الدال.

4- الرسوم: وهي طريقة بصرية تنسخ الأشياء مثل حيوان للتعبير عن الموضوع أو المفهوم المرافق له ... فما الذي يجمع بين الرسم والرسم البياني؟ إن الجامع بينهما هو أن الرسم البياني لا يفترض التكهن والإضافات التوقعية كأن أرسم شاربا على مظهري لأتوقع وجهي حال البلوغ مثلا ... ذلك أن الرسم هنا يصور شيئا ملموسا والرسم البياني يمثل فكرة ذهنية.

5- شعارات: فالصليب والهلال والمنجل والمطرقة تمثل تباعا المسيحة والإسلام والشيوعية، فهي رسوم أيقونية لأنها مثل الرسوم البيانية، والرسوم تقبل ضروبا من التصرف في التعبير من شأنها أن تؤثر في المضمون، ولكنها اعتباطية من حيث وضعها المجازي، ويسميها الرأي العام رموزا .

6- أهداف: حين نقول لشخص ما (لقد أصبت الهدف!) فإننا بذلك لم نقم بوضع شيء مقام شيء آخر، بقدر ما وجهنا الوضعية، بل قمنا بتحديد موقعه من الصواب (أين) ... ومن هذا النحو تصبح نجمة القطب الشمالي علامة للملاح من هذا النحو.

فهم العلامة عند أمبرتو إيكو

يعتمد فهم وتلقي وتأويل العلامة عنده على رجوع الإنسان دائما إلى موسوعة encyclopédie ذهنية خاصة به تمكنه من إدراكها ... وتعتمد هذه الموسوعة في ذلك على خلفيات متعددة هي :

1- **الخلفية الدلالية:** عند استدلال القارئ لفهم العلامة يلجأ لموسوعته، فيأخذ منها المعارف الدلالية، كي يفهم سياق رموز الخطاب وأهدافه.

2- **الخلفية التداولية:** نحن نؤول الرموز في سياق تداولها واستعمالها بين الأفراد والمجتمعات، فنحن نتذكر ونسترجع مواقف مماثلة تمّ فيها استعمال هذه العلامة لغرض ما مشابه، أو قريب.

3- **الخلفية النفسية:** للجانب النفسي للمتلقي في فهم الرموز والخطابات دور أساسي يتحكم ويوجه تفسيره وتأويله الخاص عبر موسوعته التأويله.

السيميوزيس عند إيكو

يقول إيكو : إن « بورس» يؤكد أنه لا وجود البتة لفكر خارج السيرورة السيميائية، وأنه ليس هناك أدنى عناء في أن نستنتج أن الفكرة المستقرأة من علامة ما تمثل أحد مدلولاتها، لأن دالَّ التمثيل لا يكون إلا تمثيلا، إنه ليس إلا التمثيل ذاته ... هناك سيرورة لا متناهية من الارتدادات نسميها السيميوزيس. إن الإنسان كائن لغوي، وبما أنه « لا يستطيع أن يفكر إلا بواسطة العلامات أو بغيرها من الرموز، فإن هذه الوساطة يمكنم أن تتوجه إليه وتقول: « إنك لا تستطيع أن تقول شيئا غير ما علمناك، وأنك لا يمكن أن تدلل إلا في حدود كونك تستعمل كلمة ما كمؤول لفكرتك». وفي الواقع إن الإنسان والكلمات يوجه أحدهما الآخر، وإن غِنَى المعرفة الإنسانية كله يُحدّد ويتحدد بالثراء المتعلق بـ «معرفة الكلمات» . « إن الكلمة أو العلامة التي يستعملها الإنسان، هي الإنسان ذاته، وإن كون الحياة عبارة عن متوالية من الأفكار يُثبت عمليا أن الإنسان عبارة عن علامة، وهذا يعني أن الإنسان والعلامة التي تُمَظهِرُه يمثلان شيئا واحدا. وعليه فإن لغتي هي القيمة الإجمالية لوجودي، ذلك لأن الإنسان هو الفكر».

العوالم الممكنة عند إيكو

لقد حُدد بجلاء أن الحقيقي تعبير رمزي، وأن العالم الحقيقي هو كل عالم يحيل قاطنوه إليه كونه عالمهم الذي يعيشون فيه، ولكن عند هذه النقطة بالتحديد لا يتبقى العالم حقيقيّا، فالحقيقي يصبح تطويرا لغويّا مثل ضمير المتكلم أو اسم الإشارة ... ففي الأعمال السردية لا تحيل الأحداث إلى وقائع حقيقية في العالم الخارجي بل إلى ممكنات لعوالم متعددة يحتملها تأويل القراء. على الرغم أن كل ما في السرد مستمد من العالم الخارجي خاصة في الروايات التاريخية، لكنه واقعي في الإمكان التخييلي فقط، لقد صار في الإمكان الحديث عن الصحة والخطأ في التأويل الماصدقي المنطقي على العوالم التخييلية الممكنة وكأنها أبنية مستقلة تماما عن البنية الواقعية في أذهان المتلقين.

ويشير إيكو إلى مسألة التزامن في الواقعين الموضوعي والمتخيل. وهو يؤكد أننا نتعامل مع الواقع المتخيل زمنيا كما يتعامل المؤرخ مع شخوصه الحقيقة. أي إن العوامل الممكنة – كما يسميها إيكو- تستنبط لها تاريخا وزمنا وحكايات وشخوصا موازية، وقد تصبح عبر التاريخ ذات تأثير أقوى من تأثير الشخصيات التاريخية. فالكاتب الفرنسي ألكسندر دوما كتب روايته المشهورة « الكونت دي مونت كريستو» مستوحيا – كما قيل- أحداثها من وقائع حقيقية تدعى «بيير بيكو» في زمن لويس الثامن عشر، ولكن لا أحد – كما نظن- يتذكر «بيير بيكو» أو لويس الثامن عشر أو نابليون عند الحديث عن رواية الكونت دي مونت كريستو. أصبحت تلك الشخصيات الحقيقة مجرد أشباح أمام شخصيات العوالم الممكنة.